# بلاغة الكلمة

لكل فن لغته – أداته – التي بها يتحدث ، وعن طريقها ، ومن خلالها يعبر ، والكلمة هي أداة الأديب ، وبالكلمة ترتبط جميع خصائص العمل الأدبي التي تثير في المتلقي – بفضل أنماط صياغتها – انفعالاً عاطفيًا وذائقة جمالية تقف به على مواطن الحس ، وتفطن إلى علامات الإبداع فيما يقرأ .

" ومعنى ذلك أن اللغة التي تتشكل بواسطتها النصوص الأدبية لا تقف عند حدود ائتلاف الكلمات للتعبير عن غرض ما ، بل تتجاوز ذلك إلى خلق عالم تتداخل فيه الأدوات الخفية لتخلع عليه الجمال ، ولتحمل المستقْبِل على تذوقه والاستمتاع به " [1]

والأدب مهما تعددت أغراضه و أجناسه يبقى موضوعه الأساسي هو الإنسان بكل آماله وآلامه ، لا لأن الإنسان يتبوَّأ مكان الصدارة فحسب ، بل لأن كل ما يصوره الأدب من طبيعة ومشاعر وأشياء لا يكتسب معنى فكريا وفنيًا إلا إذا نسب إلى حياة الناس ومشاعرهم ، وطبائعهم ، معنى ذلك أن الإنسان هو موضوع الأدب ، وهو غايته بالقدر نفسه .

وعمل الشاعركان – ومازال – تحويليًا ، يتعلق بالآتي أكثر من ركونه إلى الواقع القائم ، ولذلك نجد القصيدة الشعرية تشكل بابًا واسعًا منفتحًا على العالم والإنسان ومن هذا المنطلق فإن عملية الإبداع الشعريّ تغير من طبائع الأشياء الداخلة في القصيدة ، فالكلمة يمكن أن تكون علاقة( *relation* ) أو عملية ( *process* ) ، كما وصفها " إمسون " [2]

---

١- عبد الفتاح كليطو : الأدب والغرابة ، دار الطليعة ، بيروت ط ١ مايو ١٩٨٢ م .

٢- w. Emson . 7Types of Am Liguity. New Dinection . New – york. Fibth printing – p . 5 .

ولنا أن نتساءل : ما حدود العلاقة بين الشاعر والعالم من حوله ؟ وما طبيعة هذه العلاقة ؟ يبين حازم القرطاجني حدود هذه العلاقة ، فهي عنده علاقة محاكاة ؛ إذ ينقل الشاعر العالم أو يصوره في قصيدته . قد يكون هذا العالم خارجيًا يتصل بالكائنات والأشياء والظواهر ، وقد يكون داخليًا يتصل بمشاعر الشاعر وانفعالاته إزاء هذه الظواهر والأشياء ، وهو في كل الأحوال عالم ليس من صنع الشاعر ، بل كان هذا العالم موجودًا من قبل ، لايد للشاعر فيه إلا محاكاة ما يرى من حوله .[1]

أما طبيعة هذه المحاكاة فتعود إلى الشاعر نفسه ، إذ ينقل المادة أو الموضوع من حال إلى حال ، ينقلها من مجال العالم المادي الفعلي إلى مجال العالم الفني الخيالي ، إذ يخلع عليه قيما جمالية فنية لم تكن موجودة فيه .

وقد يظن نفر أنه ثمة تناقض بين العالمين ، والحقيقة أنها علاقة تكامل ، يضيف فيها الفن إلى الواقع ما يجعل الفن وسيلة لإبراز الواقع في صورة جميلة وقد وضع " حازم " المحاكاة على عدة أضرب : الضرب الأول سماه ( محاكاة تحسين ) والضرب الثاني ( محاكاة تقبيح ) ، وضرب ثالث وضعه في مرتبة دنيا سماه ( محاكاة مطابقة ) أى حرفية يمكن أن نسميها المحاكاة الفوتوغرافية ؛ وهذه الأخيرة ليست من الأدب في شيء .[2]

والذى لا شك فيه أن العمل الشعري هو نتاج أدوات فنية، لغوية وعروضية ، وبلاغية مضبوطة بأعراف لغوية وصرفية ونحوية وعروضية ، وطرائق استخدام دلالية ،رمزية ، وتصويرية يتوخاها الشاعر وهو يشكل عمله الشعرى .

---

١- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، بيروت ١٩٨١ م ص ٢٠ .
٢- راجع المصدر نفسه ص ٩٢ .

والخطاب الشعري – إذا جاز لنا أن نطلق عليه – هو طريقة الشاعر في إبراز تجربته وإخراجها إلى عالم الوجود ، والشاعر في خطابه الشعري – فضلاً عن استخدام أدواته الفنية – يعتمد بالدرجة الأولى على البلاغة .

من النقاد من حاول الفصل بين البلاغة والفصاحة على مر عصور الأدب كالسكاكي الذي يعلق على قول الله عز وجل :

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا .... ﴾ (١)

**فيقول** : " فإن وجه الشبه بين أحبار اليهود الذين كلفوا العمل بما في التوراة ثم لم يعملوا بذلك ، وبين الحمار الحامل للأسفار ، هو حرمان الانتفاع بما هو أبلغ شيء بالانتفاع به مع الكد والتعب في استصحابه " ... ثم يقرر بعد ذلك قائلاً : " و إذا قد تقرر أن البلاغة، و الفصاحة مما يكسو الكلام حلة التزيين ، ويرقيه أعلى درجات التحسين ...كثيرًا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام " (٢) ، ومن قبل السكاكي نهج هذا المنهج : أبو هلال العسكري، وابن سنان الخفاجي .

وثمة نقاد رأوا ألاّ فصل بين البلاغة والفصاحة في إبراز مواطن الجمال ، ومن هؤلاء عبد القاهر الجرجاني ، إذ يؤيد ذلك بمثال من كتاب الله تعالى في قوله :

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٣)

---

١- سورة الجمعة : من الآية ٥ .
٢- مفتاح العلوم للسكاكي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي . ص ١٦٥ ، ص ٢٠٠ ، القاهرة ١٩٣٧ .
٣- سورة هود : الآية ٤٤.

يعلق الجرجاني على هذه الآية الكريمة بقوله : " فتجلي لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة الظاهرة، إلاّ لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض ، وان لم يعرض لها الحسن والشرف إلاّ من حيث لاقت الأولى بالثانية ، والثالثة بالرابعة ، وهكذا إلى أن تستقر إلى آخرها ، و أن الفضل تناتج ما بينهما وحصل من مجموعها " [1]

وممن نحا هذا المنحى: الرازي إذ يؤكد التقاء الفصاحة بالبلاغة ، والأستاذ / بدوي طبانة الذي يتحدث عن الفصاحة والبلاغة بمفهوم واحد ، لا يفصل بينهما ، ويحرص على دراسة البيان بمعناه الأعم الذي يرادف معنى البلاغة [2] .

ومن هؤلاء الدكتور محمد بركات إذ يقول : " ومن هنا يتضح رأينا في مفهوم مصطلحي " الفصاحة والبلاغة " وهو الائتلاف بينهما والوحدة في استخدامها تطبيقًا وذوقًا وبلاغة وجمالاً وتركيبًا " .. ويعلل لرأيه بقوله : " وذلك لأن البلاغة تحيا وتنمو في ظلال الأدب والنقد ولهذا يعين توحيد المصطلح البلاغي .

" الفصاحة والبلاغة " بمعنى البلاغة دلالة على وضوح الرؤية حول صلة البلاغة بالأدب والنقد والنظرات النفسية والملامح الاجتماعية " [3] وأنا أميل إلى هذا التوسع في مفهوم البلاغة ، وما يندرج تحتها من فصاحة ، لأن هذا التوسيع يتيح للدارس مساحة أكبر لفهم المعنى والتوصل إليه ، ويعطيه القدر الأكبر للتواصل مع المبدع وفي ضوء هذا الفهم نرى عموية مفهوم البلاغة ، وخصوصية " الفصاحة "

---

١- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق / محمد رشيد رضا ، ص ٣٥ ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٨ م
٢- البيان العربي ، د . بدوي طبانة ص ١٩١ .
٣- فصول في البلاغة ، دكتور محمد بركات ، ص ٣٦ ، دار الفكر ، عمّان ١٩٨٣ .

و أن هذه الثانية تندرج تحت المفهوم الأوسع ( البلاغة ) ، ولا يمكن بذلك الفصل بين الكل وجزئه ، و إذا جاز لنا القول أن الفصاحة تكون للفظ ، و أن البلاغة تكون للأسلوب والسياق ، فليس معنى ذلك الفصل بينهما أو أن المسافة بينهما بعيدة ، بل بينهما صلة وثيقة هي التكامل ، حيث تنضم الفصاحة – كجزء – إلى مكونات أخرى تنتج عنها بلاغة السياق أو الأسلوب أو الأبيات ، وفي ضوء هذا التنظير نتأمل قول البارودي [1] .

قليل من يدوم على الوداد ... فلا تحفل بقرب أو بعاد
إذا كان التغير في الليالي ... فكيف يدوم ود في فؤاد؟
ومن لك أن ترى قلبًا نقيا ... ولما يخل قلب من سواد
فلا تبذل هواك إلى خليل ... تظن به الوفاء ولا تعاد
وكن متوسطًا في كل حالٍ ... لتأمن ما تخاف من العناد
مداراة الرجال أشد وطئا ... على الإنسان من حرب الفساد
يعيش المرء محبوبًا إذا ما ... تجافي سيره قصد السداد
وما الدنيا سوى عجز وحرص ... هما أصل الخليقة في العباد
فلولا العجز ما كان التصافي ... ولولا الحرص ما كان التعادي

توفر لهذه الأبيات الفصاحة اللازمة من ائتلاف الحروف في الكلمة الواحدة وعدم تنافرها ، ودقة المعاني ، وعدم الغرابة ، وموافقة الميزان الصرفي ، وانسجامها وعدم الكراهة في السمع ، فصاحة في الكلمة ، ودقة في اختيارها .

---

١- ديوان البارودي .

وفي النص وبنيته تناسق وتوافق في التأليف وانسجام بين الكلمة وما جاورها وهذا كله يؤكد الملكة التي تمتع بها البارودي في سبك النظم ، وتصوير ما يدور في نفسه من معان ، وما يتمتع به من مقدرة على تشكيل المعنى .

وعندما نتأمل النص لنتأكد من مفهوم البلاغة في جزئياتها ، وما تضمنته الأبيات من صور جمالية جزئية كالاستعارة في قوله ( لا تبذل هواك إلى خليل ) والتشبيه في قوله ( حرب الفساد ) .

والمحسنات الملموسة كالطباق بين : ( قرب أو بعاد ) ، ( التغير ، يدوم ) ، ( عجز وحرص ) ، ( التصافي والتعادي ) .

**والأساليب الإنشائية في قوله :**

( فكيف يدوم ود في فؤد ؟ ) استفهام يفيد النفي والاستبعاد ، وقوله : ( فلا تبذل هواك إلى خليل ∴ تظن به الوفاء ولاتعاد ) نهي غرضه النصح والإرشاد ( وكن متوسطًا في كل حال ∴ لتأمن ما تخاف من العناد ) أمر غرضه النصح تلاه تعليل جميل يبرز فائدة التوسط في قوله : لتأمن ، مبررًا أن الأمن والراحة في التوسط.

وما أجمل القصر في قوله : ( وما الدنيا سوى عجز وحرص ) ، والأجمل منه الخبر الذي أعقبه في البيت نفسه : ( هما أصل الخليقة في العباد ) .

وتبدو منطقية الشاعر فيما أتى به من حكم في قوله :

( قليل من يدوم على الوداد ) .

**وقوله** : ( مداراة الرجال أشد وطئًا ) .

**وقوله** : ( لولا العجز ما كان التصافي ) .

وقوله : ( ولولا الحرص ما كان التعادي ) . . وكثرة الحِكَم والإتيان بها في النص يبرز خصوصية الشاعر : ( الإتيان بالحكمة لتوكيد المعنى ) .

**أما اختيار المفردات فلدى الشاعر قسط وفير منه مثل قوله :**

مداراة الرجال أشد وطئًا على الإنسان من حرب الفساد

اختار كلمة ( مداراة ) لأفضليتها على كلمة ( مصانعة ) إذا أن المداراة مأخوذة من يداري : أى يخفى ، فمداراة الرجال إخفاء ما يعيب عنهم حفاظًا على العلاقة معهم ، وحماية للإنسان مما يضره ويؤذيه ، ولم يستخدم الشاعر مضارع الكلمة ( يداري ) مع ما في المضارع من دلالة على التجدد والاستمرارية ، لكنه آثر استخدام المصدر ( مداراة ) لعلمه الكامل أن المصدر هو أصل الأشياء لذلك لجأ إليه، واستخدمه في التعبير عما يريد ، مع يقينه أن ( مداراة الرجال ) أقسى وأشد من محاربة الفساد ، وكأني به يقول : هما أمران : أحلاهما مر .

**ولو قارنا بين هذا البيت :**

مداراة الرجال أشد وطئًا على الإنسان من حرب الفساد

**وبين قول زهير بن أبي سلمى :**

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم[1]

لو قارنا بين البيتين لوجدنا تعبير البارودي ( المداراة ) أجمل من تعبير زهير ( المصانعة )

هذه الأمور الجزئية ما كان لنا أن نهملها ، ونحن بصدد دراسة النص وتحليله وصولاً إلى الوقوف على مقدار حظه من البلاغة ، وكما رأينا كان لزامًا علينا في البداية أن نقف على فصاحة المفردات التي هي أولي الخطوات في طريق البلاغة

---

١- ديوان زهير بن أبي سلمى .

الفسيح ، حتي تبين لنا حدوث المتعة بعد تناول أبيات البارودي ، وهو ما نطلق عليه : " مطابقة الكلام لمقتضي الحال مع فصاحته " .

والأبيات بعد ذلك نتيجة وصدى لخبرة حياتية طويلة اكتسبها البارودي ، فعاشت في داخله لتبرز على السطح في الوقت الذي أراده ، ومن هنا نتبين قيمة المعاني وصلتها بنفس قائلها ، ثم بروزها في شكل مفردات تتصل ببعضها من خلال العلاقات التي يقيمها صاحب العمل الأدبي ، حتى نقف على ما يريد القائل أن يوصله إلى ذهن القارىء أو المستمع .

والعمل الأدبي من خلال ذلك كله يكون جزئيات مبعثرة هنا وهناك ، حتى يجمعها الشاعر ، ويربط بينها برباط مناسب من أدواته ، ويؤلف بين اللفظ ، والسياق الذي وضع فيه فيبدو لك النسيج الشعرى متماسكا لا نبو فيه ولا تنافر .

وصاحب العمل حين ينظم عقده ويدبج حواشيه ، لا يقصد أن يقول لك هذا تشبيه أو هذه استعارة ، أو هذا أسلوب إنشائي أو خبري غرضه كذا أو كذا ، بل يعيش لحظة تطريز المعنى وسبكه ليترك للقارىء بعد ذلك فرصة معايشة تلك اللحظة فتبرز له حقيقة العمل الأدبي من خلال تأثير الأدوات التي أتقن استخدامها، ونمق نظمها ، فانتظمت في شكل قصيدة متناسقة الأركان ، ومن ذلك قول الشاعر فؤاد بليبل في قصيدة ( يا أخي ) : [1]

أنت من أنت ؟ حفنة من تراب ... فبماذا تزهو على أمثالك ؟
هبك أدركت ما تروم أتقوى ... أن ترد المنون عن نهب ذلك ؟
جمع الطين بيننا وافترقنا ... شيعًا في الحياة شتى المسالك

---

١- ديوان أغاريد الربيع ، ص ٦٥ .

من لعينيك أن ترى ما أراه ... من مجال ليست تمر ببالك
من جمال ورقة ودلال ... أين من سحرها بريق مالك ؟
أنا أعلى نفسًا وأخلد ذكرًا ... ومجالي في الكون غير مجالك
أنا لحن السماء لو شئت أن يحـ ... ـيك شعرى لعشت بعد زوالك
أنا من ربقة المطامع والحر ... ص طليق وأنت رهن عقالك
فاحي عبد الثراء أومت به عبـ ... ـدًا وعد خاسئًا إلى صلصالك

في هذه الأبيات نلمح حوارًا هادفًا مؤداه المقارنة بين العالم المادي البحت وما فيه من طينية ملموسة تنزل من قدر الإنسان وبين عالم مثالي يحياه الشاعر هو – كما يرى – فيه الخلود والبقاء ، وفيه الراحة والأمان ، والشاعر لا يلام في ذلك لأن طغيان المادة وجعلها الهدف الأول والأخير يميت في صاحبها جانب الروح وما فيه اطمئنان وراحة ، فيخسر كثيرًا .

وقد شكل الشاعر تجربته تشكيلاً طيبًا قوامه الصورة الشعرية في مثل قوله: ( أنت حفنة من تراب ) ، ( تردّ المنون ) ، ( أنا لحن السماء ) ، ( أنا من ربقة المطامع حر ) ، ( أنت رهن عقالك ) ، ( عبد الثراء ) ، ( جمع الطين بينا ) حشد هائل من الصور اتكأ عليها الشاعر لإبراز تجربته ، لأنه يدرك قيمة التصوير وأثره ، " ولأن الشعور يظل مبهمًا في نفس الشاعر فلا يتضح له إلا بعد أن يتشكل في صورة ، ولابد أن يكون للشعراء قدرة فائقة على التصوير تجعلهم قادرين على استكناه مشاعرهم واستجلائها " [1] ، إذ ليس هناك ما هو أقدر على إيضاح الفكر من الصورة الجيدة التي تبرز الفرق بين شاعر وآخر " و إذا كانت المذاهب الفنية الحديثة

---

١- الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، د. عز الدين اسماعيل ، ص ١٣٦ ، دار الفكر العربي ، القاهره .(٢) المرجع نفسه ص ١٣٩ .

في التصوير تصدر عن نفس المبدأ ، فلا يرتبط الفنان بنسق الأشياء كما هي واقعة في الحياة ، بل يلجأ إلى أغوار نفسه البعيدة يستمد من مخزونها الرموز المتباعدة في الزمان والمكان ليعبر عن شعور أو فكرة أو حالة نفسية ، فإنه ما تزال صور الشاعر أوسع مدى و أكثر رحابة ، لأن القصيدة من حيث هي حلم ، كما يقول ( ارويين أرمان ) تعد ارتباطًا بين مجموعة من الصور والرؤى والأفكار المندمجة في وحدة مفردة خلال حالة نفسية تربط بينها ، أي أننا في القصيدة نستقبل حشدًا من الصور المتتابعة المرتبطة لا صورة واحدة ، وهذه الصور لا ترتبط وفقًا للنسق الطبيعي للزمن كما هو الشأن في المشهد السينمائي أو التصوير السردي في الأديب القصصي ، بل وفقًا للحالة النفسية الخاصة والأبيات تبرز أن حرص الإنسان على المادة وتقلبة عليها من كل طريق إنما جاء من طينية والناس متساوون حيث جمع بينهم الطين في بداية الخلق ، ثم هو الذي حرك في نفوسهم الصراع والنزع رغبة في امتلاك المادة والهيمنة عليها والتفاني في جمعها والشاعر ينبئك في تجربته الإنسانية هذه كيفية التعامل مع الحياة ومع جانبيها ، إذ ليس جميلاً أن تحرص على جمع المادة ، لأن زيادة الحرص في جمعها يغلق جانب الروح ، ويظل كذلك حتى تتحكم المادة وتجعل المرء عبدًا لها تسيره وفق ما تريد ، ويظل الشاعر سعيدًا بروحانيته ليقول لأخيه : "أنا أعلى نفسًا " ، ( وأخلد ذكرًا ) * ويتمادى في زهوه حتى يقول : " أنا لحن السماء " ويبرهن على ذلك بشيء من خالص تجاربه وهو أن الشعر يخلد ذكر الإنسان ، وذلك في قوله :

أنا لحن السماء لو شئت أن يحـــ ـــييك شعري لعشت بعد زوالك

والشاعر يميل إلى استخدام طرائق مختلفة لنقل تجربته ، فهو يعتمد في الأساس على الحوار معتمدًا على التعبير بالضمير أنت ، أنا نستشف من خلاله مدى التنافر والاختلاف ، إذ يقول له : أنت كثير الزهو بما جمعت من مال ، وما حققت به من سيادة ،لكنك افتقدت جانب الجمال والرقة وما في الكون من سحر ودلال لم تعد تراه ، وكيف ترى والمادة وضعت على عينيك غشاوة ، أفقدتك الرؤية والإحساس أما أنا – الشاعر – فقد تحررت من ربقة المطامع وقيود المادة لأرى حقيقة الروح ، و أمان النفس ، وأستمتع بجانب الحياة المشرق ، لتبقى أنت رهن عقالك ، راضيًا بعبوديتك للمادة ترسف في قيودها وأغلالها .

**كما اعتمد الشاعر على الأساليب الإنشائية مثل :**

- فبماذا تزهو على أمثالك وهو استفهام غرضه السخرية والتعجب وقوله:

أتقوى أن ترد المنون عن نهب ذلك ؟ وهو استفهام يفيد النفي والاستحالة.

- **وقوله :**

أين من سحرها بريق مالك ؟ استفهام يراد به إبراز تفوق جانب الروح .

- **وقوله :**

فاحي عبد الثراء أو مت به عبدًا . أمر غرضه التحذير أو التخويف .

كما كان للمحسنات دور في التعبير عن التجربة ، لذلك أتى بالطباق في مواضع كثيرة من الأبيات مثل :

" جمع الطين بيننا وافترقنا "

**وقوله :** " لعشت بعد زوالك "

**وقوله :**

أنا من ربقة المطامع والحر ص حر طليق و أنت رهن عقالك

**وقوله** : " فاحي عبد الثراء أو مت به "

وتأمل كذلك قول الشاعر حافظ إبراهيم :

لعمرك ما أرقت لغير مصر ومالي دونها أمل يرامُ
ذكرت جلالها أيام كانت تصول بها الفراعنة العظام
وأيام الرجال بها رجال وأيام الزمان لها غلام
فأقلق مضجعي ما بات فيها وباتت مصر فيه فهل ألام ؟

إذا كنا قد سلمنا أن البلاغة – بمفهومها العصري – منظومة كبيرة تندرج تحتها أمور كثيرة ، لعلّ أهمها :

- فصاحة الكلمة .
- قوة الأسلوب
- جمال الإيقاع الموسيقيّ.
- تآلف الفكر مع الوجدان .

إذا كنا قد سلمنا بذلك فإن الأبيات السابقة تنطق بقوتها ومتانة تركيبها ودقة صياغتها ، يؤكد ذلك أمور كثيرة أبرزها :-

- تناغم القافية مع بحر الوافر الذي اختاره الشاعر ، واتساقهما مع حرف الرويّ ( الميم المضمومة ) التي أتاحت للشاعر مساحة أوسع للتعبير عما يجيش في نفسه من مشاعر الحب والاعتزاز بمصر الحبيبة ؛ والذي لاشك فيه أن الميم المضمومة التي ختم بها كل بيت من الأبيات السابقة يترك جرسًا موسيقيًا ترتاح له الأذن وتنجذب إله النفس ، وهو من الحروف التي يستخدمها الشعراء كثيرًا في المهرجانات الشعرية والمحافل الأدبية .

- يضاف إلى ذلك البدء بالقسم ليؤكد مصداقية ما يقول ، وما يشعر به ، ثم هذا الترابط العجيب والنسيج المتماسك الذي يربط بين الأبيات ، فأول بيت مرتبط بآخر بيت برباط خفيّ من دقة الصنعة حتى يتملكك شعور وأنت تقرأ البيت الأول بأن نهايته تسلمك تلقائيًا إلى البيت الذي يليه ثم الذي يليه وهكذا حتى تصل إلى آخر بيت فيدهشك الاستفهام الرائع عند القافية بالضبط ( فهل ألام ) ، و لا تملك إلاّ أن تقول لحافظ إبراهيم (شاعر النيل ) لا واللّه ... لا لوم عليك .. فأنت محق في حبك الغامر لوطنك، و أنت محق في هذا القلق الذي أقض مضجعك ، حيث لم يعد رجال مصر هم الرجال ، ولم تعد لمصر تلك الصولات والجولات ، وهي التي كانت سيدة الدنيا وشمسها المشرقة، ولا عجب في قول شاعر النيل هذا ، ويكفيك أن تستمع له قوله :

وقف الخلق ينظرون جميعًا ... كيف أبني قواعد المجد وحدي؟
وبناة الأهرام في سالف الدهر ... كفوني الكلام عند التحدي
أنا تاج العلاء مفرق الشرق ... ودراته فرائد عقدى
ما رماني رام وراح سليمًا ... من قديم عناية الله جندي
أنا إن قدر الإله مماتي ... لاترى الشرق يرفع الرأس بعدي
كم بغت دولة علي وجارت ... ثم زالت وتلك عقبى التعدي
إنني حرة كسرت قيودى ... رغم رقب العدا وكسرت غمدي